ثقافة

عن دار «الآداب للنشر والتوزيع»، تصدر قريبا رواية بعنوان «شرف» للكاتبة والأديبة التركية أليف شفق. الرواية هي الثالثة التي تترجمها الدار.

عن «المطبعة الوطنية»، بمراكش صدر مؤخرا نص مسرحي بعنوان «النداء» للكاتب والناقد محمد زهير. تقع المسرحية في 92 صفحة.

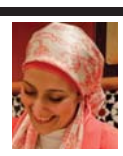

مكتبة «نفرو – توت»، بالقاهرة، أقامت مساء أمس الخميس، أمسية شعرية غنائية مع الشاعرة دعاء عبد الوهاب، والمطرب محمد حسان، بمقر المكتبة.

شاعر اللحظات الجماعية المرهفة

● البريطاني ديفيد كونستنتاين بعد فوزه بجائزة القصة القصيرة

يبحر ديفيد جيه كونستنتاين (1944) من شاطئ الشعر والترجمة ليفوز منذ أسابيع قليلة بجائزة فرانك أوكانر العالمية عن مجموعته القصصية "شاي في الميدلاند" (2012) مثيراً غيرة كتاب القصة القصيرة. تفوق كونستنتاين على الأميركية جويس كارول أوتس ومواطنة جنوب أفريقيا ديبورا ليفي ليتسلم جائزة قدرها 25000 يورو بمهرجان كورك العالمي للقصة القصيرة في 22 سبتمبر–أيلول القادم. إنه أول بريطاني يفوز بالجائزة منضمًّا إلى ثلة ألمعية من الفائزين السابقين كالياباني هاروكي موراكامي والأيرلندية إدنا أوبراين. كانت قصة "شاي في الميدلاند"، قد نالت جائزة "بي بي سي" القومية، وهي أضخم جائزة على مستوى العالم تحتفي بقصة واحدة.

هالة صلاح الدين

قصائد كونستنتاين تسبر أغوار الهوس والحب والخسارة

❑ لقد خاض كونستنتاين مسيرة مهنية امتدت ثلاثين عاماً عمل فيها مدرساً للأدب الألماني وحاز لقب الأستاذ الشرفي من جامعة ريفربول. رأس تحرير مجلة مودرن بويتري إن ترانزليشن (شعر حديث مترجَم) وفاز مرتين بجائزة أفضل كتاب مترجَم من الشعر الأوروبي حين ترجم كتاب "قصائد مختارة: فريدريك هولدرين" وديوان "أخف من الهواء" للألماني هانز ماغنوس إنتسنسبرغر.

لا شك أن كونستنتاين كاتب غزير الإنتاج مثله مثل النبع الفياض إلا أننا عندما نقارنه بمعاصريه من الشعراء كشيموس هيني وديفيد هارسينت نجد أنه لم ينل التقدير اللائق على ما قدَّم من إسهامات بارزة في الشعر البريطاني المعاصر. قد يَرجع هذا الأمر إلى أنه ظل في الأغلب "غائباً عن الحركات والنُّحَل الشائعة"، وفقاً لكلمات المؤلف البريطاني سيتفين نايت.

رؤية إنسانية

الحق أن شعر كونستنتاين يحتل مكانة منعزلة عن المناخ الأدبي الحالي، وشأنه شأن قصائد أوروبيين غزَت كتاباته، يتحلى برؤية إنسانية إلى العالَم قد يشوبها الأسى والكآبة. كثيراً ما تخيم عليه نبرات الذعر أو الرثاء أو الحدة، يخامره الألم أو تسوده المتعة، يوازن بين الاحتفال والقلق، الكبح والتوق. وبينما تستمد قصائده سلطتها من انشغال خياله بالأبعاد الأسطورية والدينية للوجود الفردي، تتداخل هذه السمات في نبرة واقعية اجتماعية وصور حسية مشرقة. لا تتجاهل موضوعات خالدة يُعبِّر عنها الشاعر من خلال الأساطير الكلاسيكية والإرث الرومانسي وحكايات الكتاب المقدَّس، نزعة شجعت النقاد على مقارنته بالشاعر البريطاني روبرت جريفز والروائي البريطاني هنري جيمز، بل وأكثر أعمال الأدب العالمي تقديراً: "الكوميديا الإلهية" للشاعر الإيطالي دانتي.

حكايات المقدس

تتبدى حكايات الكتاب المقدس وإشاراته الضمنية واضحة في ديوانيّ كونستنتاين "أشد جنوناً" (1987) و"قصائد مختارة" (1991). تتراوح بين صور جنسية بلاغية في قصيدة "آدم يعترف بخيانة حواء" ومشاهد اعتيادية في الظاهر – وإن كانت حقاً سحرية – في قصيدة "عرض ناري للقسيس"، قصيدة حمَلت الشاعر البريطاني شين أوبراين على وصفها في مجلة بويتري ريفيو بأنها "عجيبة في مزجها لعامل إنساني لا يخفى عن العيان بعامل جلي يُمثِّل الآخر". بل إن قصيدة "مؤرخ محلي" – وهي وصف لباحث ناعس "الكتاب على صدره، وإصبعه محبوسة بين صفحاته" – تضمر شعوراً قاتماً بالانعزال وعالَماً غير واقعي يتخطى كل شيء. إن هذه القدرة على بث العاطفة في تفاصيل الحياة اليومية – على إفراطها أحياناً – تضْمن أثراً رقيق الوقع، ولكن نظرة كونستنتاين الدينية إلى العالَم – لا قناعته الدينية – تتلون بشيء من اليأس وتُنتج تأويلاً غريباً لمفردات الكتاب المقدس المعتادة. وهكذا تَبزغ متع الكتاب وأهواله وكأنما تنير باتقادها وحماستها، وفي الوقت نفسه تقع تحت عين الشاعر المسلَّطة تسليطاً.

يمزج كونستنتاين العلاقات الحميمة والمشاعر الصريحة في ديوان "إشراق يطرح ظلالاً" (1980) لتلفي قصائد مترعة بصور كئيبة باردة الأحاسيس، مخيفة في أغلبها: "تنقر الساعة كل شيء حتى العظم / عندما تنفصل دماؤنا. / تقتحم الرياح العيون المكسورة / من المنازل وعبر ثغورهم المتسعة / وتنثر الرماد من المدفأة. / نَم. لا تترك يدي". ثمة تلهف لا يفارق القصائد ولا يَسْلم من أنانية، يصوره الشاعر تصويراً متقداً في أجواء كما الجحيم عندما يتراءى الحبيبان في قصيدة "الملعون" "كفرعيّ شجرة ميتين / يقرعان الجمجمة بإصبع طويلة، / حديثهما أشبه بصوت نشر الجمجمة"، بينما الأشباح في قصيدة "كل الأشباح في الجحيم غُرَّاب" "يَسمعون شخصاً ينادي على الحُب في السواد / ولكن لا تسعهم الإجابة ولا تسعهم العودة".

روحاني خارق

توالي هذه الحدة العابسة المتلفعة بالفلسفة الازدهار في ديوان "ترقُّب الدلافين" (1983) الفائز بجائزة أليس هانت بارتليت، ولعله أكثر دواوين الشاعر تقديراً بين القراء والنقاد. "في عالَم كونستنتاين نتأمل جميعاً الملائكة من غير قصد"، هكذا وصفته الكاتبة البريطانية إليزابيث لاوري، "نتأمل مزيجاً لا يعوزه الاضطراب من الرائع واليومي... يكاد المبهج والمعتاد، بل والكريه، يستعصي على التمييز". تحكي قصيدة "ترقُّب الدلافين" قصة بسيطة – وإن كانت مُحْكَمة – لرُكاب يستقلون أحد القوارب المتجهة إلى ميناء بيريوس. ينتظرون مشاهدة الدلافين، "كلهم يرومون الظهور / يناشدون البحر / طلباً لآلهة الغابات المبتسمة فطساء الأنف الشبيهة بالقباب". ولكن الدلافين لا تَظهر فيما يُترَك الرُّكاب بين ناقلات البترول، "أسفل سلاسلها / في المياه السوداء"، "يطرقون أعينهم" كمن يختبرون خَدَراً ما عائدين إلى حيواتهم العادية. يعتبر النقاد كونستنتاين أستاذاً في استحضار هذه اللحظات الزاخرة بالمشاعر الجماعية الدقيقة. الحق أن هذه المهارة تضع كونستنتاين في مكان أقرب إلى الشعراء الأوروبيين – على تباين مناهجهم – وأبعد عن البريطانيين من أمثال شين أوبراين وبيتر ريدينج.

لا ريب أن شعر كونستنتاين يَنعم بأسلوب فريد عند مقارنته بمعظم الشعر المعاصر: كثيف الوقع، عاطفي اللهجة، روحاني خارق أحياناً للطبيعة دون انخراط مفرط في الدين، بل إنه قد يتراءى خليقاً بشعر البريطاني ويليام بليك، مقارنة قد تبدو مبالغة إلى أن نضع في الاعتبار تركيز كونستنتاين المتكرر على التوتر القائم بين البراءة والخبرة بنبرة مكبوحة كبحاً أو ملائكة زائلين ينيرون دواوينه، وتحديداً "جلد الدبابير" (1998) حيث "الملائكة... دنيوية، سعيدة، مرفوعة، تُظْهر راحة شاحبة". يبوح كونستنتاين إلينا بأن أغلب قصائد هذا الديوان "تتعلق بضغط الوعي ورغبة الفردية الملحة في العودة قسراً وبسْط نفسها. تُواصل القصائد سبر مشاعر قديمة: الهوس والحب والخسارة غير أنها ليست في الواقع تكراراً بما أننا دائماً، وفي كل مرة، أكبر سناً".

قلم الرصاص لا يهادن الخطر

● قاسم حداد في كتابه «سماء عليلة»

"لا أذهب إلى المنفى، إنه هنا"، هكذا يفتح الشاعر البحريني قاسم حداد كتابه "سماء عليلة" الصادر حديثا عن دار "مسعى". من أول وهلة، ثمة كشف عن وجع اغتراب، لا أمن ولا طمأنينة.."تغادر الوطن. وهل الوطن في مكان؟". بعد شذرات "الغزالة يوم الأحد"، الصادرة عن دار "الغاوون"(2010)، أطلق قاسم حداد في "سماء عليلة" غارة شعرية جديدة عبأ لها 284 شذرة /طلقة. القلم الرصاص لا يهادن أمام الخطر الدائم، والكتابة ملاذ يحمي الذات الهشة من عالم يكاد الهواء فيه لا يكفي زفير الأكباد.

❑ **المنامة**- ثمة شعور رهيب بالخطر الدائم يخيم على الكتاب. شعور متأصل لدى الشاعر، إذ بالعودة إلى سيرته الذاتية، نقرأ أنه ما إن يدركه المساء بعيدا عن البيت حتى تنتابه حالة الذعر الغامض، فيتصرف مثل وحش جريح ومحاصر.

في "سماء عليلة" يستدرج قاسم حداد القارئ للتحليق في رحلة خطرة على بساط كتابة قلقة ومستنفرة، تسبر عوالم وجود هش ومعطوب. عوالم القلق، الألم، الذعر، الخوف، الفقد، لا جدوى البحث عن جدوى.

في شذرات الكتاب يبدو وجع الحياة أكثر سطوة، والأمل ساقطا رميما، والعزلة قلعة لاحتماء المرء من العالم وإفلاته بجلده..تلك العزلة التي تصبح أكثر جمالا حين تكون في مكان لا أحد يعرفك فيه، وإن كنت تعرف أحدا، فسوف تبادر بإفساد عزلتك بنفسك.

أطول شذرات الكتاب الواقع في 104 صفحات، لا تتعدى خمسة أسطر. ولأنها كتابة شذرية يخوض غمارها كاتب معروف بنفسه الشعري الطويل، جاءت اللغة مقتصدة، زاهدة ومكثفة تفسح المجال للتحديق الواسع في صور بصرية مدهشة بأفقها التخييلي في كشف نقائض ومفارقات صادمة في أبعادها الذاتية والفلسفية والوجودية.

لا تخضع مواضيع الشذرات لتبويب أو تصنيف. يسرح الشاعر في الكتابة عن الشعر واللغة، السياسة والدين، المنفى والعزلة والموت، الحب والحلم والحرية، الجسد والجرح، الأصدقاء والخصوم (...)، بلغة قلقة لا تترك شيئا على هيئته، كأن الشاعر المسكون بفقد غامض للأشياء التي يحب ينثر بذوره في ليل مدلهم وتحت سماء عليلة.

ثمة عمى يقود إلى الهاوية ولا دليل نجاة في الطريق سوى بصيرة الشعر ذي الرؤية النافذة إلى الوجود والعدم.. يظل الشاعر وفيا لرؤيته إلى الكتابة كما حددها في سيرته الذاتية. إنها قناديل سوداء في يد كائن أعمى يقود سربا من الموغلين في النوم نحو أحلام تضاهي الكوابيس.

يسمو الشعر عن الواقع والمعرفة والعقل، يصبح معدنا نفيسا، مشجبا ذهبيا للندم والنسيان واختزال احتمالات الموت،"لغتك، عربتك الذهبية نحو السهوب، هل تحسن قراءة المعادن؟"، أو"طاولة الشعر أعلى من الأرض، وأكثر شساعة منها" و"(ليست مهنة لكي تحسنها، الكتابة هاوية فشل متواصل نحو الأمل".

وحدها قيم الحرية والحب والحلم تجعل الحياة ممكنة. الحرية التي لا ثمن لها، والحب منبع الخصب والجمال،"لا تتأخروا كثيرا عن الماء، يصيبه الجفاف بعيدا عن الحب" و"حبك يأسر عدوك، لفرط رشاقتك، عاريا من الأسلحة". أما الحلم فملاذ مؤقت لدغدغة الحقيقة قبل الارتطام بجدار الواقع، و"نزهة الحالم، ذريعة لضباع كامنة". "في النوم، حلمك يرى الحقيقة، تستيقظ فتسقط في الواقع" و"كل صباح أحصي أشلاء روحي، خارجة من أحلام لا تتحقق".

في "سماء عليلة" ما من موت، بل غياب طويل بلا نهاية، غياب يؤكده حضورنا! ولأنها المرة الأخيرة، يجدر إحصاء سنواتنا يوما بعد يوم، وساعة بعد ساعة. الموت يصير أحلى بعد عبور ذي أثر، "اترك أثرا يشير إلى عبورك، ولا تمكث طويلا"، أما الحياة فتصبح ضربا من العبث بعد فقد من نحب "من الأفضل أن تموت قبل محبيك. فمن غيرهم لا معنى لك" و"عقاب عظيم، أن تعيش أطول من الآخرين، تشهد فقدهم".

وفق منطق المفارقات ذاته، يبدو الأعداء الواضحون الجريؤون أكثر جمالا من خصوم جبناء، ويصبح تحويل الصديق إلى عدو أسهل من كسب العدو صديقا. "الخصوم نجوم ليلك، إن أحسنت إيقاظ الضوء في زجاجة صدورهم"، و"لديك من الأصدقاء ما يكفي لقناديل الطريق المطفأة. فلا تغفل عن الخصوم". ولأن للضغائن أنيابا، يتربع الأب على عرش الصداقة بلا منازع. "كنت سأصبح أجمل أصدقائه، لو أنه تأخر قليلا، أفتقد أبي كل يوم. لم أعثر على صديق مثله".

في الزمن الضجر تصبح للأشجار آذان صاغية وأقدام راكضة،"شجرة، لكنها تسمعك وتصغي إليك، ما عليك إلا أن تحسن مكالمة الطبيعة" و"سرعة الشجرة أكثر ثقة من مزاعم الخيول" و"أحسن حالا مني، هذه الشجرة، تنام واقفة، ولا تتوقف عن العمل". وفي الزمن الموحش تصير الطبيعة على قسوتها مدعاة للرحمة والسكينة، "ذئب تحت وابل الثلج في غابة بعيدة، يمنحني الثقة في رحمة الفصول".

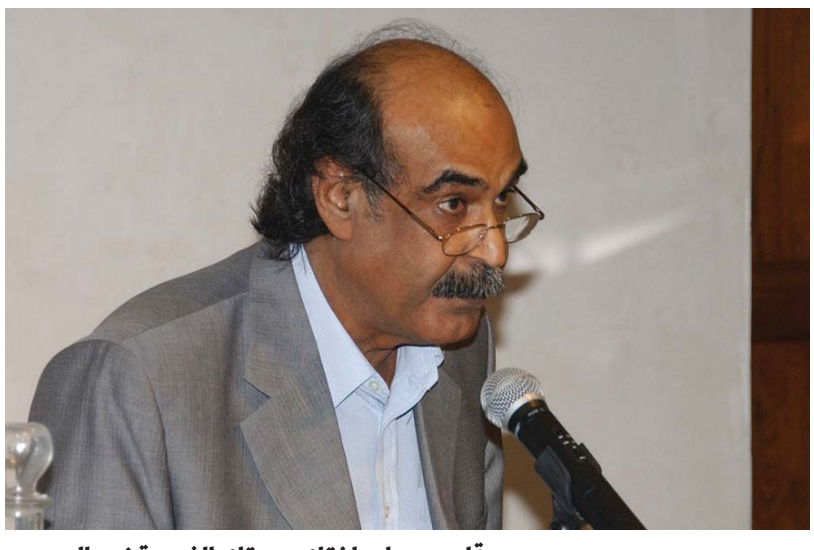

قاسم حداد: لغتك، عربتك الذهبية نحو السهوب

الهوية الثقافية بناء تاريخي

أزراج عمر

❑ لئن كثرت أنماط السجال حول مفهوم الهوية الثقافية والتاريخية والحضارية في الفكر العربي – الإسلامي، كما لو أنه موضوع غير مطروق سابقا، فإن الفلسفة الإسلامية وكذلك الشروح والتعليقات الفلسفية التي قام بها الفلاسفة المسلمون في غمرة ترجمة واستيعاب التراث الفلسفي اليوناني قد تناولت هذا المفهوم بإسهاب.

التأويلات المتداولة للهوية في بانوراما الفكر العربي المعاصر تغلب عليها نزعة التنظير لها على كونها ظاهرة معطاة قبليا، وأنها مثل الجوهر متطابقة مع نفسها ومكتفية ذاتيا. إن هذا النمط من التأويل للهوية يذهب إلى التأكيد أنها هي التي تحرك التاريخ، وأنها هي التي تصنعه.

إننا نجد تطبيقات نموذجية لهذه النزعة في الكثير من المؤلفات التاريخية التي تدور حول البطولات الفردية، والتمحور حول الأبطال الأفراد على أنهم هم صناع جوهر الأحداث، والمصائر التاريخية.

وفي حقل الأدب نجد أيضا نظريات تؤكد أن النصوص هي من صنع الكتاب بمفردهم وأنها بالتالي لا تفهم فهما يقينيا دون الاتكاء على السير الذاتية لهؤلاء الكتاب أثناء تأويلها. ويبدو واضحا أن هذا الفهم للهوية يفرض عليها أن تكون ثابتة، وجاهزة، وواعية، وسابقة حتى على التاريخ.

وفي الواقع، فإن مبدأ الهوية المثبت في الفلسفة التقليدية لا يزال يؤثر سلبيا في فتح منافذ جديدة قصد التأسيس لنظرية الهوية الثقافية الحديثة في الفكر وفي النقد الأدبي وفي الثقافة الشعبية عندنا، ويحول أيضا دون بناء منظور ترى بواسطته الهوية الحضارية كظاهرة مركبة وأنها محصلة لحوار أو صدام التنوعات وأنها نابعة من روافد اجتماعية ونفسية وثقافية متعددة يمكن اقتفاء آثارها في نقاط تماس الثقافات واللغات والتجارب والحضارات عبر التاريخ.

إن نظرية "غوبينو" العرقية تعد من النماذج التي تقوم على نظرية تدعي أن الهوية ظاهرة عرقية مغلقة ولاغية للتنوع، وعلى صعيد آخر فقد تزامن هذا النمط من الفهم للهوية مع نمط آخر من الفهم للاختلاف الذي يعتبر أنه واقع ثابت وغير متحوّل وغير قابل للتعديل، وكما يفهم هذا الاختلاف فهما سلبيا على أنه تمايز قار وأبدي بين كيانات (ثقافات، حضارات، إلخ) لا يلحقها التغيير.

و هكذا يلتقي هذان الفهمان النمطيان للهوية الأمر الذي يفرز الفصل التعسفي بين الثقافات والحضارات ويثبت الهوية الفردية أو الجماعية في قفص الثبات المغلق، ومن هنا فإنه ينبغي إعادة النظر بإلحاح في كلا المفهومين المتعلقين بالهوية وبالاختلاف معا، وإنه من الضروري إعادة بناء النظرية على ضوء حقائق الثقافات المتداخلة والحضارات المتفاعلة والاتصالات التاريخية.

لقد أبرزت الشواهد التاريخية أن ثقافة الشعب الفرنسي الأبيض في القرون الوسطى تحديدا، ليست متطابقة كلية مع حال المجتمع الفرنسي المتعدد في القرن العشرين وفي بدايات الواحد العشرين. إن الفلاسفة والمفكرين والسياسيين الفرنسيين في عصر ديكارت، أو عصر باسكال لم يكونوا يتحدثون عن إسلام فرنسا مثلا، أو عن المساواة أو عدم المساواة بين أبناء المستعمرات الفرنسية وبين الإنسان الفرنسي الأبيض ولو على الصعيد النظري المحض. عندما كتب مؤرخ الحوليات الفرنسي المشهور فرنان بروديل كتابه "هوية فرنسا" تحدث فيه بوضوح أو حتى بشكل موارب عن التعددية الدينية، وعن التعددية القومية، والإثنية، كأجزاء عضوية في بنية هوية فرنسا المعاصرة وهذا إحدى نقائص هذا الكتاب وهي الثغرات التي قام بتصحيحها في كتابه "البحر المتوسط في عهد فليب الثاني" حيث ذكر بشكل دقيق تناص الحضارات المتوسطية وتحاورها والتأثير المتبادل فيما بينها. ونتيجة لذلك فإن الهوية ليست ثابتة وليست متطابقة مع ماضيها على نحو أبدي.

باختصار

◄ نادي جدة الأدبي الثقافي، دشن حديثا، مشروع طباعة الرسائل العلمية في الأدب السعودي بهدف العناية بتشجيع البحوث العلمية في هذا المجال والترجمة لبعض إصدارات النادي وما يمكن اختياره من بحوث، باللغة العربية أو باللغة الأنكليزية، يعنى بالأدب السعودي وترجمته بالتبادل إلى اللغتين لتعميم الفائدة.

◄ إدارة مؤسسة محمد شكري الثقافية بطنجة، أعلنت عن إسناد رئاستها للشاعر والصحافي الإذاعي عبد اللطيف بن يحيى، بعد مرور شهرين من تأسيسها في إطار الدورة التاسعة للمهرجان المتوسطي للثقافة الأمازيغية "تويزة".

◄ دار "الربيع العربي للنشر والتوزيع"، أعلنت عن تعاونها مع الشاعر أحمد بخيت، لِتقديم ورشة تعليم موسيقى الشعر (علم العَروض) بمكتبة الربيع العَربي في شارع مجلس الشعب بداية شهر نوفمبر–تشرين الثاني الجاري.

◄ محافظ السويس، يرافقه أحمد مجاهد، رئيس الهيئة المصرية العامة للكتاب، افتتحا مؤخرا معرض القاهرة الدولي للكتاب بالسويس، والذي يستمر حتى 6 نوفمبر– تشرين الثاني الجاري.

لمراسلة المحرر
culture@alarab.co.uk